أثر السياق في إيثار الجملة (الاسمية أو الفعلية) في بعض الفواصل القرآنية

د. أحمد مدلول علي الباحثة: شروق ماجد شريف
جامعة بابل / كلية التربية الاساسية

The effect of context on the altruism of the sentence (nominal or actual) in some Koranic breaks

Dr. Ahmed Madlol Ali
Researcher: Shrooq Majid Sharif
University of Babylon\ College of Basic Education
ah-y80@yahoo.com

Abstract:

This research is an attempt to reveal a miracle of the miracles of the Koran graphic, and the statement of the emirates of the great miracle, which is the impact of the context of the Koranic choice in the Koranic comma, the coming of the context of the nominal or actual sentence in the Koranic intervals, so in this research I studied the Koranic comma and the Koranic context, Then study the significance of the sentence in Arabic, and then study the relationship between each of them, and this relationship came to achieve the requirement of semantic Murad of the verse.

The presence of the nominal sentence in the Quranic comma achieves the meaning of persistence and permanence in the verse, and the presence of the actual sentence achieves the meaning of regeneration and continuation, so in this research I studied the nominal sentence located in the Koranic comma, as well as the actual sentence, and then examine the previous verbal context; It is closely related to the Qur'anic comma (nominal or actual sentence), and therefore the comma has been chosen intentionally to fit its predecessor in meaning. This is a form of Qur'anic miracle that cannot stand at a limit.

Keyword: Quranic comma, context, nominal sentence, actual sentence.

الملخص:

إن هذا البحث هو محاولة للكشف عن معجزة من معاجز القرآن البيانية، وبيان أمارة من أمارات ذلك الإعجاز العظيم، وهو أثر السياق القرآني في اختيار الفاصلة القرآنية، فمجيء السياق بالجملة الاسمية أو الفعلية في الفواصل القرآنية، فقمت في هذا البحث بدراسة الفاصلة القرآنية والسياق القرآني، ثم دراسة دلالة الجملة في العربية، بعد ذلك دراسة العلاقة بين كل منهم، وقد جاءت هذه العلاقة لتحقيق مطلب دلالي مراد من الآية.

فوجود الجملة الاسمية في الفاصلة القرآنية يحقق معنى الثبوت والدوام في الآية، ووجود الجملة الفعلية يحقق معنى التجدد والاستمرار فيها، لذلك قمت في هذا البحث بدراسة الجملة الاسمية الواقعة في الفاصلة القرآنية، وكذلك الجملة الفعلية، ثم دراسة السياق اللفظي السابق لها؛ ليتبين أنَّ لهذا السياق علاقة وثيقة بالفاصلة القرآنية (الجملة الإسمية أو الفعلية)، وبالتالي تكون الفاصلة قد اختيرت اختيارا مقصودا لتناسب ما قبلها في المعنى، ويعد هذا صورة من صور الإعجاز القرآني الذي لا يمكن أن يقف عند حد.

الكلمة المفتاحية: الفاصلة القرآنية، السياق، الجملة الاسمية، الجملة الفعلية.

المقدمة:

يمثل القرآن الكريم منبع الفصاحة والبلاغة فهو معجز في شكله ومضمونه ومن أبرز دلائل الإعجاز فيه دقته العجيبة في اختيار الفاظ الفواصل القرآنية، فهو يضع كل لفظ من الفاظ فواصله في مكانها المناسب لها في بناء محكم متماسك، فهي لم تات لتحقيق التوافق الموسيقي فحسب بل هي وسيلة من وسائل الإبلاغ والكشف عن معان في السياق يراد بيانها والتأكيد عليها، وفي دراستي هذه سأسلط الضوء على أثر السياق في إيثار الجملة (الاسمية أو الفعلية) في نهايات الآيات القرآنية، وفيما يأتي بيان المصطلحات موضع الدراسة.

أولا: السياق:

تعددت تعريفات العلماء والباحثين للسياق القرآني، فمن تلك التعريفات هو ((تتابع المعاني وانتظامها في سلك الالفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المتصور دون انقطاع او انفصال))[١]، وهذا يعني أن السياق هو: مجموعة من الألفاظ والتراكيب القرآنية المترابطة والمتسلسلة والمنتظمة الهدف منها بيان المعنى القرآني، وقد تنبه علماؤنا **(رحمهم الله)** إلى أهمية السياق في النص القرآني ومدى تأثيره في اختيار الالفاظ الملائمة له، فتوصلوا الى ((أن للسياق أثرا كبيرا في اختيار المفردات التي تؤدي المعنى خير أداء))[٢]، فالسياق القرآني له الأثر الكبير في اختيار المفردات القرآنية بشكل عام والفاصلة القرآنية بشكل خاص وهذا ما نسعى إلى بيانه والكشف عنه في البحث.

ثانيا: نهاية الآيات القرآنية (الفاصلة القرآنية):

أطلق العلماء على النهايات في الآيات القرآنية مصطلح الفواصل القرآنية، فعرف الرماني الفواصل بأنها: ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني))[٣]، وعرفها أبو عمرو الداني بأنها: ((كلمة آخر الآية))[٤]، وقد قسمت على أنواع مختلفة هي:

١- من حيث علاقتها بما قبلها، وتكون على أربعة أضرب هي (التصدير، التوشيح، التمكين، الايغال)[٥].

٢- من حيث الوزن وحروف السجع، فتقسم على ثلاثة أقسام هي: (المتوازي، المتطرف، المتوازن)[٦].

٣- من حيث التماثل والتقارب، فتقسم على قسمين: (المتماثل والمتقارب)[٧].

ثالثا: الجملة:

الجملة في تعريف النحاة هي ((الكلام الذي يتركب من كلمتين او اكثر، ولها معنى مفيد مستقل))[٨]، وقد عني النحاة البلاغيون بمسألة الجملة الاسمية والفعلية عناية كبيرة، ففرقوا بينهما من حيث الدلالة، فذهبوا إلى أن الجملة الاسمية تدل على (الثبوت والدوام)، والجملة الفعلية تدل على (التجدد والاستمرار).

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني **(ت ٤٧١ هـ)** إلى تلك المسألة، إذ يقول: ((وبيانُه، أنَّ موضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشيءِ من غيرِ أن يَقتَضي تجدُّده شيئاً بعْدَ شيء، وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تَجدُّدَ المعنى المُثْبَت به شيئاً بعْدَ شيء))[٩].

١ نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية:١٥.
٢ دلالة السياق في القصص القرآني: ١٨.
٣ ثلاث رسائل في اعجاز القران: ٩٧
٤ البرهان في علوم القران: ١/ ٥٣.
٥ ينظر: البرهان في علوم القران: ١ / ٧٩ – ٩٧.
٦ ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٧٥.
٧ ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٧٢.
٨ المقتضب: ١/ ٨، وينظر: مغني اللبيب: ٢/ ٣٧٤.
٩ دلائل الاعجاز: ١٧٤.

وبهذا تكون الجملة الاسمية قد أدت غرضا متغيرا لما تؤديه الجملة الفعلية، وقد استعملت كل جملة بحسب دلالتها في السياق وقد حفل بهما النص القرآني ولا سيما الفواصل القرآنية حيث استعملتا بدلالتيهما كثيرا في الفواصل القرآنية فجاءت كل كلمة في الفاصلة متوافقة مع السياق الذي وردت فيه ومؤتلفة معه في المعنى، ((فإذا أردت الدلالة على الحدث جئت بجملة مسندها فعل تقدم الفعل أم تأخر، وإذا أردت الدلالة على الثبوت جئت بجملة مسندها اسم))[١].

ولبيان علاقة الفاصلة (الجملة) بالسياق وأثر السياق في اختيارها قمت بتتبع بعض الآيات القرآنية المختومة بالجمل (الاسمية أو الفعلية)؛ للوقوف على ذلك التناسب وبيان تلك العلاقة.

رابعا: إيثار الجملة الاسمية:

عرف النحاة الجملة الاسمية بأنها: ((الجملة المصدرة باسم))[٢]، وتدل الجملة الاسمية – كما بينا سابقا – على (الثبوت والدوام) ويبدو أن سبب اكتسابها هذه الصفة هو لاحتوائها على (الاسم) الذي يمثل الأساس فيها فـ ((الاسم يدل على الاستقرار والثبوت))[٣]؛ بسبب تجرده من الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل) وعدم تقيده به، فهو ((يدل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان))[٤]، ونتيجة لتمتع الاسم – الذي يعد أساس الجملة الاسمية – بتلك الصفات؛ اكتسبت الجملة الاسمية صفة الثبوت والدوام منه.

وقد وردت الجملة الاسمية في الكثير من الفواصل القرآنية؛ لتعكس بدلالتها على الثبوت معنى الثبوت والدوام في الآية القرآنية كلها، فتكون الفاصلة القرآنية بمثابة المتمم للمعنى والمكمل له، فلو نظرنا مثلا إلى الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ((**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**)) [الاعراف: ٢٠١] لوجدنا أن هناك علاقة واضحة بين الفاصلة القرآنية والسياق الذي وردت فيه.

فالسياق في الآية الكريمة يدور حول المتقين المتنبهين الذين يحذرون مكائد الشيطان في كل لحظة، وقد انعكس هذا المعنى في الآية الكريمة على الفاصلة فجاءت مختومة بالجملة الاسمية (هم مبصرون)؛ للدلالة على أنهم منتهون عن المعصية على وجه الدوام والثبوت فمهما حاول الشيطان إيقاعهم بمصائده ومكائده يبقى المتقون ثابتين على إيمانهم فهم ((يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكير))[٥].

وقد ذهب الزركشي إلى أن هذه الآية الكريمة قد ختمت بالجملة الاسمية للدلالة على أن ((البصر صفة لازمة للمتقي، وعين الشيطان حجبت، فإذا تذكر رأى المذكور، ولو قيل يبصرون لأنبأ عن تجدد واكتساب))[٦].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما نجده في قوله تعالى)(**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**)) [البقرة: ١٧٧].

فلو تأملنا نهاية الآية الكريمة لوجدنا أنها ختمت بالجملة الاسمية (هم المتقون) ويبدو أن سبب ذلك إنما يعود للسياق الذي اقتضى أن تختم الآية الكريمة بالجملة الاسمية؛ لغرض إفادة دوام صفة (التقوى) فيهم؛ لأن الآية الكريمة نزلت لقطع النزاع بين اليهود والنصارى، حيث ((أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول (ص) الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه الى

١ معاني النحو: ١/ ١٦.
٢ نغني اللبيب: ٢ / ٤٩٢، وينظر: همع الهوامع: ١ / ٥٠.
٣ البرهان في علوم القران: ٦٦/٤.
٤ همع الهوامع: ١/ ٢٥.
٥ الوسيط في تفسير القران المجيد: ٤٣٨/٢.
٦ البرهان في علوم القران: ١/ ٤٧٥.

قبلته فرد عليهم بهذه الآية))[١]؛ لتبين لهم أن البر ليس مراعاة الامور الظاهرة فحسب بل هو الايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والانبياء، وهو أيضا الانفاق في سبيل الله تعالى لكل من يستحق، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويوفوا بالعهد ويصبروا على المصيبة وتلك الصفات لا يمكن أن يمتلكها أي شخص إلا من كان متقيا ثابتا على تقواه لذا جاءت الآية الكريمة مختومة بالجملة الاسمية (هم المتقون)؛ لتدل ((على أن التقوى فيهم أصبحت صفة ثابتة ومستقرة في قلوبهم وحادثة لم تتغير ولو عبر عنها بالجملة الفعلية فقال (يتقون) لدلت على أنهم يتدربون على التقوى لتستقر في نفوسهم ويستمرون في ذلك، وأنهم لم يصلوا الى درجة التقوى بعد وهذا المعنى غير مراد هنا))[٢].

ومن أمثلة ايثار الجملة الاسمية في نهايات الآيات القرآنية قوله تعالى: ((**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** (١٥٦) **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**)) **[البقرة ١٥٦-١٥٧]**.

إذ نلحظ أن الآية الثانية قد ختمت بالجملة الاسمية (هم المهتدون)؛ لأن السياق هو من اقتضى ذلك لغرض إفادة ثبوت صفة الهداية فيهم أي: (في الصابرين على المصيبة)، إذ لو تأملنا السياق العام للآية الكريمة لجدنا أنه يدور حول وصف الله تعالى للمؤمنين الصابرين على المصيبة، وهذا الصبر لا يتأتى لأي إنسان إلا من كان إيمانه ثابتا وقويا، فالذين يتصفون بالهداية هم فقط ((أصحاب الهدى الكامل))[٣]، ولذلك أثر المعنى العام للآية الكريم، لذا ختمت بجملة اسمية لتبين أن صفة الصبر على المصيبة لا يتصف بها الا من كان ثابت الهداية مداوم عليها، وبهذا يكون المعنى قد تممه وجود الجملة الاسمية.

ولم تقتصر دلالة الجملة الاسمية على ثبوت الوصف ودوامه في الشيء فقط بل قد تأتي أيضا للدلالة على التوكيد وذلك عند دخول أحد حروف التوكيد الناصبة عليها فتزيد عند دخولها على الجملة الاسمية دلالة أخرى زيادة على دلالتها الاصلية وهي (التوكيد) يقول ابن الاثير: ((وإنما يعدل عن أحد الخطأ بين إلى الآخر لضرب التأكيد والمبالغة، فمن ذلك قولنا: قام زيد، وإن زيدا قائم، فقولنا: "قام زيد" معناه الإخبار عن زيد بالقيام، وقولنا: "إن زيدا قائم" معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضا، إلا أن في الثاني زيادة ليست في الأول، وهي توكيده بأن المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها))[٤].

ويمكن ملاحظة ذلك في نهايات بعض الآيات القرآنية من ذلك قوله تعالى: ((**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**)) **[الصافات: ١٥٨]**

إذ نلحظ أن الآية الكريمة ختمت بالجملة الاسمية المؤكدة بـ (إن) في قوله تعالى (انهم مغرقون)؛ لان السياق قد اقتضى ذلك لغرض توكيد مضمون الآية وهو أن ((الغرق نازل بهم لامحالة))[٥]، فقد أكدت الجملة الاسمية المؤكدة أن الحكم الذي أصدره الله تبارك وتعالى بحق المكذبين لنوح (**عليه السلام**) قد ثبت واستقر فالله تعالى قدحكم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى الخلاص منه ولا فائدة للشفاعة او مخاطبة الله تعالى في إمهالهم؛ لأن الله تعالى قدحكم عليهم بالغرق، وأن ذلك الحكم قد تأكد فهو واقع وثابت وقد تحقق ذلك المعنى عن طريق الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام أولا، ثم مجيء (إن) المؤكدة ثانا، وهذا جعل المعنى أكثر ثبوتا وتوكيدا.

ومن أمثلة التوكيد في نهايات الآيات القرآنية (الجملة الاسمية) أيضا ما جاء في قوله تعالى: ((**نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ** (٥٧) **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ** (٥٨) **أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** (٥٩) **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** (٦٠) **عَلَى أَنْ**

١ غرائب القران ورغائب الفرقان:١/ ٤٧٥.
٢ نهايات الآيات القرآنية بين اعجاز المعنى وروعة الموسيقا:١٥٥.
٣ التحرير والتنوير: ٢٨/ ٢٨.
٤ المثل السائر: ٢/ ١٩١.
٥ المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز: ٢/ ٢٧٢.

نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ (٧٢))) [الواقعة: ٥٧-٧٢]

إذ نلحظ في هذه الآيات الكريمة أن بعض الفواصل القرآنية فيها قد ختمت بجملة اسمية منها: (نحن الخالقون)، و(نحن الزارعون)، و(نحن المنزلون)، و(نحن المنشئون)، وكان سبب ذلك الايثار للجمل الاسمية في نهايات الآيات القرآنية يعود إلى السياق، إذ أثر السياق الجملة الاسمية هنا لغرض التوكيد، فورود الخبر بعد (نحن) قد جيء به على سبيل التوكيد[١]، فقد أراد الله تعالى أن يؤكد بأن كل تلك النعم التي أنعم الله تعالى بها على الانسان هي من عنده وحده، فهو وحده القادر على ذلك دون سواه ((أي: الثابت لنا ذلك تحقيقا))[٢]؛ لأن هذه السورة نزلت في جو مشحون بتكذيب رسول الله (ص) من المشركين، إذ إن النبي (ص) قد أتى بعقيدة البعث واليوم الاخر والحساب، وهذا ما لا يؤمن به المشركون، فقاموا بتكذيبه، فجاءت هذه السورة ردا على قول المشككين فأخذت بالاستدلال وبما أبدعه الله تعالى من الموجودات[٣]، ولتحقيق ذلك المعنى جيء بالجملة الاسمية لغرض توكيد ما يقوم به الله تعالى من الخلق وبذلك كان وجودها قد حقق المعنى على أكمل وجه.

خامسا: إيثار الجملة الفعلية:

عرف النحاة الجملة الفعلية بأنها: ((الجملة المصدرة بفعل))[٤]، وتدل الجملة الفعلية – كما بينا – على التجدد والاستمرار وسبب اكتسابها هذه الصفة هو لاحتواؤها الفعل الذي يعد النواة الرئيسة فيها، ولأن الفعل يدل على الحدث المتجدد وذلك بسبب اقترانه بالزمن لذا اكتسبت الجملة الفعلية دلالتها منه.

وقد وردت الجملة الفعلية بتلك الدلالة كثيرا في نهاية الآيات القرآنية وكان للسياق أثر كبير في ذلك الاختيار، فنجده أحيانا يؤثر الجملة الفعلية على الاسمية في نهايات الآيات القرآنية لإفادة معنى التجدد والاستمرار من ذلك قوله تعالى: **((إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ)) [الاعراف: ٢٠٦].**

إذ نلحظ في الآية الكريمة أنها ختمت بالجملة الفعلية (يسجدون)؛ وذلك لدلالتها على التجدد والاستمرار، ولبيان أن صفة السجود متجددة في الملائكة فهم يسجدون له في كل وقت وحين وهذا السجود هو صفة مستمرة ومتجددة فيهم والاسلوب القرآني استعمل الجملة الفعلية استعمالا كثيرا عند الحديث عن تسبيح الله تعالى والسجود له وفي هذه الآية القرآنية ختمت لتبين أن الملائكة مستمرون على العبادة في الأوقات كلها، وبهذا يكون اختيار السياق هنا اختيار مقصود وذلك لتنعكس الفاصلة بدلالتها على التجدد والاستمرار استمرار الملائكة في السجود لله تعالى وهذا هو المعنى المراد من الآية.

ومن الآيات الاخرى التي اثر السياق فيها الجملة الفعلية في نهايات الآيات القرآنية قوله تعالى: **((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)) [الانبياء: ٣٣]**

إذ نلحظ أن الآية الكريمة ختمت بالجملة الفعلية (يسبحون)؛ وسبب ذلك الايثار يعود الى السياق وذلك لتصور لنا بدلالتها على التجدد والاستمرار دوران الشمس والقمر وجريان الليل والنهار بصورة مستمرة ومتكررة.

---

١ ينظر: البحر المحيط: ١٠ / ٨٨.
٢ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩ / ٢٢٠.
٣ ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧ / ٢٨٠.
٤ الجملة الفعلية:٢٩.

فالسياق العام للآية الكريمة يدور حول وصف الله تعالى لحركة دوران الشمس والقمر وجريان الليل والنهار، لذا آثر السياق اختيار الجملة الفعلية في نهاية الآية الكريمة لتتم المعنى وتصور لنا استمرار حركة تلك الأجرام وعدم توقفها في زمن معين وبهذا زادت الفاصلة في الآية السابقة النص القرآني تدفقا متجددا ومستمرا.

ولم تقتصر دلالة الجملة الفعلية على التجدد والاستمرار فحسب، بل أن هناك دلالات أخرى تمتعت بها الجملة الفعلية منها: دلالتها على تصوير الحدث وتقريبه للمتلقي.

وتعد هذه الظاهرة من الظواهر اللافتة للنظر في البيان القرآني، فالجملة الفعلية تستعمل أحيانا لتصوير المشهد واستحضار أحداثه كأنما تراه العين وتسمعه الأذن ويكون ذلك عند التعبير عن الحدث الماضي بالفعل المضارع إذ ((يراعي الاستعمال القرآني دلالة الفعل المضارع مراعاة فائقة قلما نجد مثلها في كلام غيره وتتضمن هذه المراعاة أبعادا متعددة في اختيار لفظ سواه، فقد يراعي القران البعد الجمالي للفظة التي يستعملها وأحيانا بعد التأثر، أو الجزالة وقوة اللفظ))[١]، ولهذا نجد أن السياق يعبر بالجمل الفعلية التي فعلها مضارع في النهاية الآيات القرآنية؛ ليبرز لنا تلك الاحداث واضحة شاهدة وكان المخاطب يراها ويصورها وهي تقع وتحدث وقد استحضرتها الأذهان عندما عبر عنها بالمضارع وكأنها ماثلة واقفة أمامه.

وبهذا تقوم الجملة الفعلية التي يكون فعلها مضارع بتأسيس رؤى الى زمن المستقبل لا يقف عند نقطة محددة[٢] فـ((الفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي لتتبين هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كانه شاهد))[٣]؛ لأن التعبير بالحدث الظاهر له وقعه الخاص على النفس؛ لأن الانسان يعايشه ويشعر به ويعاني ما فيه من أحداث، لذا جاء التعبير القرآني بالجمل الدالة على الحال لكي يظهر بذلك الحوادث ماثلة للعيان حتى يكون الاعتبار بها أوفى.

فمن الآيات التي جيء بفاصلتها جملة فعلية لتصوير الأحداث الماضية وكأنها حادثة الآن قوله تعالى: ((**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**)) **[البقرة: ٨٧]**.

إذ نلحظ أن الآية القرآنية قد ختمت بالجملة الفعلية (تقتلون)؛ لأن السياق اقتضى ذلك، فالسياق العام للآية الكريمة يدور حول ما يقوم به اليهود من أعمال شنيعة تجاه الرسول (ص)، فغرض الآية هو بيان بشاعة ما قام به أولئك اليهود من التكذيب والقتل، لذا جيء بها جملة فعلية فعلها مضارع؛ ((لاستحضار الحالة الفظيعة، وهي حالة قتلهم رسلهم))[٤]، وعلل الزمخشري اختيار (تقتلون) بحكاية الحال الماضية في الفاصلة القرآنية أي (قتلتم)؛ لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب تشنيعا لفظاعته[٥]، وقد تحقق ذلك المعنى عن طريق الجملة الفعلية وما تحمله من دلالة على تصوير الحدث وبهذا تكون الفاصلة القرآنية قد حققت بدلالتها المعنى الذي يراد ايصاله للمتلقي.

ومن الآيات التي جيء بفاصلتها جملة فعلية لتصوير الاحداث الماضية وكأنها حادثة الان قوله تعالى: ((**وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى** (٨))) [عبس: ٨].

إذ نلحظ أن الآية الكريمة قد ختمت بالفعل المضارع (يسعى)؛ لكي يصور لنا لهفة الأعمى إلى تعلم الدين، فالتعبير القرآني يصور في هذه الآية لهفة هذا الاعمى إلى تعلم الدين، وقد جيء بالفعل المضارع؛ ليدل على حدث ماض مما يجعلنا نشعر بما يقوم به

١ الفعل المضارع في القران الكريم:١٥٥
٢ ينظر الآيات المتعلقة بالرسول محمد (ص) دراسة بلاغية اسلوبية: ١٠٨.
٣ البرهان في علوم القران:٣/ ٣٣٧.
٤ التحرير والتنوير: ١/ ٥٩٨.
٥ ينظر: الكشاف:١ /١٦٢.

ذلك الاعمى ويجعلنا نعيش تلك الحالة وكأننا نراها أمامنا وبهذا تكون الجملة الفعلية في الفاصلة القرآنية قد قربت المعنى وصورت ذلك الحدث ادق تصوير.

الخاتمة:

اتضح مما سبق أن اختيار الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية في نهايات الآيات القرآنية كان؛ لأغراض ومعان يقصد السياق إلى تحقيقها؛ وذلك لما تتمتع به كل جملة من الدلالة لذا آثر السياق أن تختم كل آية بحسب مقتضى المقام والسياق لتتوافق الفاصلة القرآنية بمعناها ودلالتها مع السياق الذي وردت فيه فيتم بذلك المعنى ويصبح أكثر وضوحا واقرب الى ذهن المتلقي.

فمجيء السياق بالجملة الاسمية أو الفعلية في نهايات الآيات القرآنية هو لتحقيق مطلب دلالي مراد من الآية، فوجود الجملة الاسمية في الفاصلة يحقق معنى الثبوت والدوام في الآية كلها، ووجود الجملة الفعلية يحقق معنى التجدد والاستمرار فيها، وكذلك يحقق معنى التوكيد.

المصادر والمراجع:

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ)، تح صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البرهان في علوم القران، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١ – ١٩٥٧م.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م
- ثلاث رسائل في اعجاز القران، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣ (د.ت).
- الجملة الفعلية، علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
- غرائب القران ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري (ت ٨٥٠ هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، ابن عطية الاندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ – ٢٠٠٠م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة الموصل، ١٩٨٧م.
- مغني اللبيب في كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تح: د مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط٦ – ١٩٨٥م.
- المقتضب، أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت (د.ت).
- نظرية السياق القرآني – دراسة تأصيلية دلالية نقدية، المثنى عبد الفتاح محمد، دار وائل للنشر، عمان – الاردن، ط١– ٢٠١٠م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة (د.ت).

- نهايات الآيات القرآنية بين اعجاز المعنى وروعة الموسيقا، د. أحمد عبد المجيد محمد خليفة، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠٠٦م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية – مصر (د. ت).
- الوسيط في تفسير القران المجيد، أبو الحسن النيسابوري، تحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد عبد المجود واخرون، قدمه وقرظه: الاستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٤م.

الرسائل والأطاريح:

- الآيات المتعلقة بالرسول محمد (ص) دراسة بلاغية اسلوبية، عدنان جاسم الجميلي (اطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، ٢٠٠٠٣م.
- دلالة السياق في القصص القرآني، محمد عبد الله علي سيف (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد– كلية الآداب، ٢٠٠٢م.
- دلالة الفعل المضارع في القران الكريم، علي خضير فنون (رسالة ماجستير)، جامعة بابل – كلية التربية، ٢٠٠٦م.